

دكتور / بدر عبد الحميد هميسه

١٤٣١هـ = ٢٠١٠م

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين يسمع دعاء الخلائق ويجيب ..يـؤنس الوحيـد ، ويهـدى الشريد ، ويذهب الوحشة عن الغريب ..يغفر لمن استغفره ، ويرحم من استرحمه و يصلح المعيب ...يستر العصاة ، ويمهل البغاة ، ومن تاب منهم قبل وأثيب .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له هو المهيمن والرقيب ...من توكل عليه كفاه ، ومن التجأ إليه فالفرج قريب ...من اعتصم به فهو مولاه ، ومـن ارتجـاه مخلصا لا يخيب .

وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله المقرب والحبيب ...خلقه نعمة ، ومبعثـه رحمة ، وشمس سنته لا تغيب ... وعلى آله وصحبه ومن تبعهم من كـل قريـب وحبيب .

وبعد . . ؛

فإن طلب العلم في الإسلام فريضة واجبة وسنة ماضية حثنا الله عليها في كتابـه الكريم ، وكرم أهلها فقال عز من قائل : " قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ (٩) **سورة الزمر .**

وقال: " شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّـا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١٨) **سورة آل عمران .**

وقال : إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ (٢٨) **سورة فاطر .**

وعَنْ كَثِيرِ بْنِ قَيْسٍ ، قَالَ : كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ أَبِي الدَّرْدَاءِ فِي مَسْجِدِ دِمَشْقَ ، فَأَتَاهُ رَجُلٌ ، فَقَالَ : يَا أَبَا الدَّرْدَاءِ ، أَتَيْتُكَ مِنَ الْمَدِينَةِ ، مَدِينَةِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم ، لِحَدِيثٍ بَلَغَنِي أَنَّكَ تُحَدِّثُ بِهِ ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ، قَالَ : فَمَـا جَاءَ بِكَ تِجَارَةٌ ؟ قَالَ : لاَ ، قَالَ : وَلاَ جَاءَ بِكَ غَيْرُهُ ؟ قَالَ : لاَ ، قَالَ : فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: " مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا ، سَـهَّلَ اللهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ ، وَإِنَّ الْمَلاَئِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِـبِ الْعِلْـمِ ، وَإِنَّ

طَالِبَ الْعِلْمِ يَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ ، حَتَّى الْحِيتَانِ فِي الْمَاءِ ، وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ ، كَفَضْلِ الْقَمَرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ ، إِنَّ الْعُلَمَاءَ هُمْ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ ، إِنَّ الأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلاَ دِرْهَمًا ، إِنَّمَا وَرَّثُوا الْعِلْمَ ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ. **أخرجه أحمد ١٩٦/٥(٢٢٠٥٩) و"الدارمِي" ٣٤٢ و"أبو داود"٣٦٤١ و"ابن ماجة"٢٢٣ والترمذي (٢٦٨٢).**

وكما حث الإسلام على طلب العلم فقد ندب طلابه إلى التخلق بأخلاق العلماء والتأدب بأدبهم ، قال تعالى : " مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٥) **سورة الجمعة .**

وقال أبو عبدالله سفيان بن سعيد الثوري : (كانوا لا يخرجون أبناءهم لطلب العلم حتى يتأدبوا ويتعبدوا عشرين سنة).

وأخرج الخطيب في الجامع بسنده إلى مالك بن أنس قال: قال محمد بن سيرين (كانوا يتعلمون الهدي كما يتعلمون العلم).وقال الحسن: إن كان الرجل ليخرج في أدب نفسه السنتين ثم السنتين. **انظر: تذكرة السامع والمتكلم، لابن جماعة ٤.**

قال أبو الأسود الدؤلي:

العلم نور وتشريف لصاحبه * فاطلب هديت فنون العلم والأدبا**
العلم كنز وذخر لا فناء له * نعم القرين إذا ما صاحب صحبا**

قال الشيخ عبد القادر الكيلاني رضي الله عنه بنيت أمري على الصدق وذلك أني خرجت من مكة إلى بغداد أطلب العلم فأعطتني أمي أربعين دينارا وعاهدتني على الصدق فلما وصلنا أرض همدان خرج علينا عرب فأخذوا القافلة فمر واحد منهم وقال ما معك قلت أربعون دينارا فظن أني أهزأ به فتركني فرآني رجل آخر فقال ما معك فأخبرته فأخذني إلى كبيرهم فسألني فأخبرته فقال ما حملك على الصدق قلت عاهدتني أمي على الصدق فأخاف أن أخون عهدها فصاح ومزق ثيابه وقال أنت تخاف أن تخون عهد أمك وأنا لا خاف أن أخون عهد الله ثم أمر برد ما أخذوه من القافلة وقال أنا تائب لله على يديك فقال من معه أنت كبيرهم في قطع الطريق

وأنت اليوم كبيرنا في التوبة فتابوا جميعا ببركة الصدق .**الصفوري : نزهة المجالس ومنتخب النفائس ١٦٠/١.**

قال الشاعر:

فلولا العلم ما سعدت نفوس * * * ولا عرف الحلال ولا الحرام

فبالعمل النجاة من المخازي * * * وبالجهل المذلة والرغام

لذا ينبغي على طالب العلم أن يتنزه عن خوارم المروءة وهي آداب نفسية تحمل مراعاتها الإنسان على الوقوف عند محاسن الأخلاق ، و جميل العادات . و قال بعضهم : هي كمال المرء كما أن الرجولة كمال الرجل . و قال بعضهم : المروءة هي قوة تصدر عنها الأفعال الجميلة المستتبعة للمدح شرعا و عقلا وعرفا ، وقيل : هي تلك النقائص التي تفقد الشيء تمامه .

روي عن ابن سيرين أنه قال : " ثلاثةٌ ليست من المروءة : الأكل في الأسواق ، والإدِّهان عند العطار ، والنظر في مرآة الحجام ".

ومن أمثلة ذلك كذلك ما قيل لشعبة : لم تركت حديث فلان ؟ قال : رأيته يركض على برذون ! وسئل الحكم بن عتيبة عن زاذان لِمَ لَمْ ترو عنه؟ فقال: كان كثير الكلام !! بل إن أحمد بن المقدام العجلي طَعَنَ فيه أبو داود لمزاحه.

هل يستوي من رسول الله قائده * دوماً وآخر هاديه أبو لهب**

وأين ما كانت الزهراء أسوتها * ممن تقفت خطاً حمالة الحطب**

وهذه رسالة في سلوك الطالب والطالبة ، هذا السلوك الذي ينبغي أن يضبط بضوابط الأخلاق والآداب الفاضلة ، حتى يصبح طالب العلم شامة وعلامة بين جميع الناس .

شامة وعلامة في تصرفاته داخل بيته وفي حسن تعامله مع والديه وإخوته .

شامة وعلامة داخل مدرسته في أدبه وحسن تصرفه مع معلميه وزملائه .

شامة وعلامة وهو يسير في الطريق فيعرف للطريق آدابه والتزاماته .

فتميز طالب العلم بالأخلاق والآداب وحسن التصرف دليل على انتفاعه بما يتعلم ، عَنِ الْمُسَيَّبِ بْنِ رَافِعٍ ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ ، قَالَ : يَنْبَغِي لِحَامِلِ الْقُرْآنِ أَنْ

يُعْرَفَ بِلَيْلِهِ إِذَا النَّاسُ نَائِمُونَ ، وَبِنَهَارِهِ إِذَا النَّاسُ مُفْطِرُونَ ، وَبِحُزْنِهِ إِذَا النَّـــاسُ يَفْرَحُونَ ، وَبِبُكَائِهِ إِذَا النَّاسُ يَضْحَكُونَ ، وَبِصَمْتِهِ إِذَا النَّاسُ يَخْلِطُونَ ، وَبِخُشُوعِهِ إِذَا النَّاسُ يَخْتَالُونَ ، وَيَنْبَغِي لِحَامِلِ الْقُرْآنِ أَنْ يَكُونَ بَاكِيًا مَحْزُونًا حَلِيمًـــا حَكِيمًـــا سِكِّيتًا ، وَلاَ يَنْبَغِي لِحَامِلِ الْقُرْآنِ أَنْ يَكُونَ ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ ذَكَرَ كَلِمَةً ، لاَ صَـــخَّابًا ، وَلاَ صَيَّاحًا ، وَلاَ حَدِيدًا.**شعب الإيمان للبيهقي ٣٩/٣، مصنف ابن أبي شيبة ٣٤/١٤،**

قال الشاعر :

أحبُّ مـكارم الأخلاق جهدي * واكره أن أعيب وان أعابا**

واصفح عن سباب الناس حلما * وشر الناس من يهوى السبابا**

ومن هـاب الرجــال تهـيبهُ * ومن حقر الرجال فلن يهابا**

وهذه الصفحات : " ثلاث رسائل في سلوك الطالب والطالبة " وهي :

(١) الرسالة الأولى : سلوك الطالب والطالبة في البيت .

(٢) الرسالة الثانية : سلوك الطالب والطالبة في المدرسة .

(٣) الرسالة الثالثة : سلوك الطالب والطالبة في الطريق .

اللَّهُمَّ اهْدِنِي لأَحْسَنِ الأَخْلاَقِ ، لاَ يَهْدِي لأَحْسَنِهَا إِلاَّ أَنْتَ ، وَاصْرِفْ عَنِّي سَـيِّئَهَا ، لاَ يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلاَّ أَنْتَ ، لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ ، وَالْخَيْرُ كُلُّهُ فِي يَدَيْكَ ، وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ ، أَنَا بِكَ وَإِلَيْكَ ، تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ.

راجي عفو ربه

دكتور / بدر عبد الحميد هميسه

hamesabadr@yahoo.com

في : ٢ محرم ١٤٣٢ هـ = ٨ من ديسمبر ٢٠١٠ م

(١) الرسالة الأولى

سلوك الطالب والطالبة في البيت

ينبغي أن يكون سلوك الطالب والطالبة داخل البيت سوكاً متميزاً يظهر فيه أثر التعلم وثمرة التربية الحسنة ، فلا يُتصور أن يكون طالب العلم عاقاً لوالديه يسيء إليهما بأي نوع من أنواع الإساءة ، وهو الذي قرأ قول الله تعالى : " وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا (٣٦) **سورة النساء.**

وقول الله تعالى : " وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا (٢٣) وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا (٢٤) رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا (٢٥) **سورة الإسراء.**

وقوله سبحانه : "وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ (١٤) . **سورة : لقمان ١٤.**

وحديث النبي صلى الله عليه وسلم ، عَنْ عَبْدِ الله ، قَالَ:سَأَلْتُ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم : أَيُّ الأَعْمَالِ أَفْضَلُ ؟ فَقَالَ : الصَّلاَةُ لِوَقْتِهَا ، وَبِرُّ الْوَالِدَيْنِ ، وَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِ الله ، وَلَوِ اسْتَزَدْتُ لَزَادَنِي. **أخرجه أحمد ٤١٨/١(٣٩٧٣).**

وعَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرٍو ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ، قَالَ:رِضَى الرَّبِّ فِي رِضَى الْوَالِدِ ، وَسَخَطُ الرَّبِّ فِي سَخَطِ الْوَالِدِ. **أخرجه التِّرمِذي (١٨٩٩) و"ابن حِبان" ٤٣٩ وقال الألباني رحمه الله تعالى ، حسن موقوفاً ، وصحيح مرفوعاً.**

وروى الإمام أحمد بسند حسن عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال :أوصاني رسول الله صلى الله عليه وسلم بعشر كلمات قال: "لا تشرك بالله شيئاً، وإن قتلت وحرّقت، ولا تعقّنّ والديك، وإن أمراك أن تخرج من أهلك ومالك .**أخرجه أحمد ٢٣٨/٥(٢٢٤٢٥).**

وجاءت الوصية الخاصة بالأم لمكانتها ودورها المهم في التربية ، فعن بَهْزَ بْنِ حَكِيمِ بْنِ مُعَاوِيَةَ،عَنْ أَبِيهِ،عَنْ جَدِّهِ،قَالَ:قُلْتُ:يَا رَسُولَ اللهِ مَنْ أَبَرُّ ؟ قَالَ:أُمَّكَ.قُلْتُ:ثُمَّ مَنْ ؟ قَالَ:ثُمَّ أُمَّكَ،قَالَ:قُلْتُ:يَا رَسُولَ اللهِ،ثُمَّ مَنْ ؟ قَالَ:أُمَّكَ،قَالَ:قُلْتُ:ثُمَّ مَنْ ؟ قَالَ:ثُمَّ أَبَاكَ،ثُمَّ الأَقْرَبَ فَالأَقْرَبَ." . **مسند أحمد (٦ / ٧٢٨)(٢٠٠٢٨) ٢٠٢٨١ – صحيح.**

وعَنْ كُلَيْبِ بْنِ مَنْفَعَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَنْ أَبرُّ ؟ قَالَ: " أُمَّكَ وَأَبَاكَ ، وَأُخْتَكَ وَأَخَاكَ ، وَمَوْلَاكَ الَّذِي يَلِي ذَاكَ، حَقًّا وَاجِبًا ، وَرَحِمًا مَوْصُولَةً " . **معرفة الصحابة لأبي نعيم (٥ / ٢٣٩٨) (٥٨٧٠و٧٠١٣) حسن.**

وعَنْ سَهْلِ بن مُعَاذِ بن أَنَسٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم :"مَنْ بَرَّ وَالِدَيْهِ طُوبَى لَهُ، زَادَ اللَّهُ فِي عُمُرِهِ . **مسند أبي يعلى الموصلي(١٤٩٤) والمعجم الكبير للطبراني – (١٥ / ١٣٨) (١٦٨٤٥) حسن.**

وعَنْ ثَوْبَانَ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم:إِنَّ الرَّجُلَ لَيُحْرَمُ الرِّزْقَ بِالذَّنْبِ يُصِيبُهُ،وَلاَ يُرَدُّ الْقَدْرُ إِلاَّ بِالدُّعَاءِ،وَلاَ يَزِيدُ فِي الْعُمُرِ إِلاَّ الْبِرُّ. **صحيح ابن حبان – (٣ / ١٥٣) (٨٧٢) حسن.**

قال الشاعر :

عليك ببر الوالدين كليهما * * * وبر ذوي القربى وبر الأباعد
ولا تصبحن إلا تقياً مهذباً * * * عفيفاً ذكياً منجزاً للمواعد

عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ جَاهِمَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم أَسْتَشِيرُهُ فِي الْجِهَادِ، قَالَ: " أَلَكَ وَالِدَةٌ ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: " اذْهَبْ فَأَكْرِمْهَا، فَإِنَّ الْجَنَّةَ عِنْدَ رِجْلَيْهَا " وَفِي رِوَايَةِ إِنَّ جَاهِمَةَ أَتَى النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: إِنِّي أَرَدْتُ أَنْ أَغْزُوَ فَجِئْتُكَ أَسْتَشِيرُكَ، فَقَالَ: " أَلَكَ وَالِدَةٌ ؟ " قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: " اذْهَبْ فَالْزَمْهَا، فَإِنَّ الْجَنَّةَ عِنْدَ رِجْلَيْهَا . **شعب الإيمان – (١٠ / ٢٤٨) (٧٤٤٨ –٧٤٥٠) صحيح.**

وعن عَبْدِ اللهِ، قَالَ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم أَيُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللهِ تَعَالَى ؟ قَالَ: " الصَّلَاةُ لِوَقْتِهَا "، قُلْتُ: ثُمَّ أَيُّ ؟ قَالَ: " بِرُّ الْوَالِدَيْنِ "، قُلْتُ: ثُمَّ أَيُّ ؟ قَالَ: " الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ ". **صحيح مسلم (٢٦٣).**

قال الإمام الشافعي : طاعة الوالدين:

طع الإله كما أمر * * * و أملأ فؤادك بالحذر

وأطع أباك فإنه * * * رباك في عهد الصغر

واخضع لامك وأرضها * * * فعقوقها إحدى الكبر

فكل هذه النصوص وغيرها تؤكد على أهمية البر بالوالدين والإحسان إليهما ، وهذا البر وذلك الإحسان يتطلب من الطالب والطالبة عدة أمور منها :

١ - طاعتهما واجتناب معصيتهما: فيجب على المسلم طاعة والديه واجتناب معصيتهما، وأن يقدم طاعتهما على طاعة كل أحد من البشر ما لم يأمرا بمعصية الله ورسوله، صلى الله عليه وسلم إلا الزوجة؛ فإنها تقدم طاعة زوجها على طاعة والديها.

٢ - الإحسان إليهما: بالقول والفعل، وفي وجوه الإحسان كافة.

٣ - خفض الجناح: وذلك بالتذلل لهما والتواضع والتطامن.

٤ - البعد عن زجرهما: وذلك بلين الخطاب والتلطف بالكلام، والحذر كل الحذر من نهرهما ورفع الصوت عليهما.

٥ - الإصغاء إليهما: وذلك بالإقبال عليهما بالوجه إذا تحدثا، وترك مقاطعتهما أو منازعتهما الحديث، والحذر كل الحذر من تكذيبهما أو رد حديثهما.

٦ - الفرح بأوامرهما وترك التضجر والتأفف منهما.

٧ - التودد لهما والتحبب إليهما: ومن ذلك مبادأتهما بالسلام، وتقبيل أيديهما ورءوسهما، والتوسيع لهما في المجلس، وألا يمد يده إلى الطعام قبلهما، وأن يمشي خلفهما في النهار وأمامها في الليل، خصوصا إذا كان الطريق مظلما أو وعرا، أما إذا كان الطريق واضحا سالكا فلا بأس أن يمشي خلفهما.

٨ – الجلوس أمامهما بأدب واحترام: وذلك بتعديل الجلسة، والبعد عما يشعرهما بإهانتهما من قريب أو بعيد، كمد الرجل أو القهقهة بحضرتهما، أو الاضطجاع أو التعري، أو مزاولة المنكرات أمامهما، أو غير ذلك مما ينافي كمال الأدب معهما.

٩ – تجنب المنة في الخدمة أو العطية: فالمنة تهدم الصنيعة، وهي من مساوئ الأخلاق، ويزداد قبحها إذا كانت في حق الوالدين. فعلى الولد أن يقدم لوالديه ما يستطيع، وأن يعترف بالتقصير، ويعتذر عن عدم استطاعته أن يوفي والديه حقهما.

١٠ – تقديم حق الأم: فمما ينبغي مراعاته – أيضا – تقديم بر الأم والعطف عليها والإحسان لها على بر الأب والعطف عليه والإحسان إليه، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: إِنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا نَبِيَّ اللهِ، مَنْ أَبَرُّ ؟ قَالَ: " أُمَّكَ "، قَالَ: ثُمَّ مَنْ ؟ قَالَ: " أُمَّكَ "، قَالَ: ثُمَّ مَنْ ؟ قَالَ: " أُمَّكَ "، قَالَ: ثُمَّ مَنْ ؟ قَالَ: " أَبُوكَ ".**شعب الإيمان – (١٠ / ٣٥٣) (٧٤٥٤) صحيح.**

وعَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ بُرَيْدَةَ،عَنْ أَبِيهِ،قَالَ:انْتَهَى النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم إِلَى رَسْمِ قَبْرٍ فَجَلَسَ،وَجَلَسَ النَّاسُ حَوْلَهُ كَثِيرٌ،فَجَعَلَ يُحَرِّكُ رَأْسَهُ كَالْمُخَاطِبِ.قَالَ:ثُمَّ بَكَى،فَاسْتَقْبَلَهُ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،فَقَالَ:مَا يُبْكِيكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ:" هَذَا قَبْرُ آمِنَةَ بِنْتِ وَهْبٍ،اسْتَأْذَنْتُ رَبِّي فِي أَنْ أَزُورَ قَبْرَهَا فَأَذِنَ لِي،وَاسْتَأْذَنْتُهُ فِي الِاسْتِغْفَارِ لَهَا فَأَبَى عَلَيَّ،وَأَدْرَكَتْنِي رِقَّتُهَا فَبَكَيْتُ " قَالَ:فَمَا رَأَيْتُ سَاعَةً أَكْثَرَ بَاكِيًا مِنْ تِلْكَ السَّاعَةِ ".**دَلَائِلُ النُّبُوَّةِ لِلْبَيْهَقِيِّ (١٠١) صحيح.**

قال أبو إسحاق الرقي الحنبلي في ترجمة عبدالله بن عون : ونادته أمه فأجابها ، فعلا صوته صوتها ، فأعتق رقبتين .

روى عن ابن عباس انه قال: إنما رد الله عقوبة سليمان بن داود عن الهدهد لبره بأمه .

كان زين العابدين كثير البر بأمه ، حتى قيل له: إنك ابر الناس بأمك ، ولسنا نراك تأكل معها في صحفة ! فقال : أخاف أن تسبق يدي إلى ما سبقت إليه عينها ، فأكون قد عققتها.

وكان طلق بن حبيب يقبل رأس أمه، وكان لا يمشي فوق ظهر بيتٍ هي تحته إجلالاً لها.

وحيوة بن شريح من كبار العلماء،كان يقعد في حلقة الدرس يعلم النـــاس، وعنـــد مضي بعض الوقت تأتي أمه وتقول: يا حيوة ! قم ألق الـــشعير للـــدجاج، فيقـــوم ويقطع الدرس! الشيخ العالم الكبير حيوة يقطع الدرس وهو يدرس الطلاب؛ ليضع الشعير للدجاج، ثم يرجع يكمل الدرس، وهكذا.

أغرى امرؤ يوماً غلاماً جاهلاً * * * بنقوده كيما ينال به الوطر
قال : ائتني بفؤاد أمك يا فتى * * * ولك الجواهر والدراهم والدرر
فمضى وأغرز خنجراً في نحرها * * * والقلب أخرجه وعاد على الأثر
لكنه من فرط سرعته هوى * * * فتدحرج القلب المضرج إذ عثر
ناداه قلب الأم وهو معفر * * * ولدي حبيبي هل أصابك من ضرر
فكأن هذا الصوت رغم حنوه * * * غضب السماء به على الولد انهمر
فدرى فظيع خيانة لم يجنها * * * ولد سواه منذ تاريخ البشر
فاستل خنجره ليطعن نفسه * * * ويظل دوماً عبرة لمن اعتبر
ناداه قلب الأمر : كف يدا ، ولا * * * تذبح فؤادي مرتين على الأثر

ثم بعد بر الوالدين تأتي صلى الرحم ، فقد يكون هناك في البيت الجد والجدة والعم والعمة والخال والخالة ، فلهم حق الإحسان والبر كالوالدين ، قال تعالى : " وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ (٢١) وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ (٢٢) جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ (٢٣) سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ (٢٤) **سورة الرعد.**

وقال سبحانه محذراً من قطيعة الرحم : " فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ (٢٢) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ (٢٣) **سورة محمد .**

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ، قَالَ: إِنَّ الرَّحِمَ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ ، ولَيْسَ الْوَاصِلُ بِالْمُكَافِئِ ، ولَكِنِ الْوَاصِلُ الَّذِي إِذَا انْقَطَعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَهَا.
أخرجه أحمد(١٦٣/٢)(٦٥٢٤) و"التِّرمِذي" ١٩٠٨.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال صلى الله عليه وسلم: من سره أن يُبسط له في رزقه، وأن يُنسأ له في أثره، فليصل رحمه.**رواه البخاري.**

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ ، يَبْلُغُ بِهِ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا ، وَيَعْرِفْ حَقَّ كَبِيرِنَا ، فَلَيْسَ مِنَّا. **أخرجه أحمد ٢٢٢/٢(٧٠٧٣) و"البُخَارِي" في "الأدب المفرد" ٣٥٤.**

ثم بعد ذلك على طالب العلم وعلى طالبة العلم أن يكونا قدوة لمن هم أصغر منهما سناً ، وأن يعرف أن الأخ الصغير يحب دائما أن يقلد أخاه الذي يكبره في السن ، فلا ينبغي عليه أن يأمره بشيء ولا يفعله وأن ينهاه عن اجتناب شيء ثم يأتيه .

قال الشاعر :

لا تنه عن خلقٍ وتأتي مثله * عارٌ عليك إذا فعلت عظيم**
ابدأ بنفسك وانهها عن غيها * فإذا انتهت عنه فأنت حكيم**
فهناك يقبل ما وعظت ويقتدى * بالعلم منك وينفع التعليم**

ثم على الطالب والطالبة معرفة أدب الحديث فيتجنب الفاحش من القول ، عَنْ عَبْدِاللهِ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم:لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ ، وَلاَ اللَّعَّانِ ، وَلاَ الْفَاحِشِ ، وَلاَ الْبَذِيءِ. **أخرجه أحمد ٤٠٤/١(٣٨٣٩) . والبخاري ، في الأدب المفرد٣٣٢ .**

ويتجنب الكذب والغيبة والنميمة والمراء والجدل .

كما عليه أن يتعلم أدب الجلوس وأدب الاستئذان ، قال تعالى : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنْكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ

عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٥٨) **سورة النور.**

وعن سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ ، يَقُول: كُنَا فِي مَجْلِسٍ عِنْدَ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ ، فَأَتَى أَبُومُوسَى الأشْعَرِيَّ مُغْضَبًا حَتَّى وَقَفَ . فَقَال : أَنْشُدُكُمُ الله ، هَلْ سَمِعَ أَحَدٌ مِنْكُمْ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم يَقُولُ : الاسْتِئْذَان ثَلاَثٌ. فَإِنْ أُذِنَ لَكَ . وَإِلا فَارْجِعْ . **أخرجه أحمد ٦/٣ . والبخاري ٦٧/٨ ومسلم ١٧٧/٦.**

وكيفية إكرام الضيف والتعامل معه ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ اَلْخُدري ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم:مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِالله وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ ، قَالَهَا ثَلاَثًا قَالَ وَمَا كَرَامَةُ الضَّيْفِ يَا رَسُولَ الله ؟ قَالَ : ثَلاَثَةُ أَيَّامٍ فَمَا جَلَسَ بَعْدَ ذَلِكَ فَهُوَ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ. **أخرجه أحمد ٧٦/٣(١١٧٤٩).**

وَالضَّيْفَ أَكْرِمْهُ فَإِنَّ مَبِيتَهُ * حَقٌّ، ولا تَكُ لَعْنَةً لِلنُّزَّلِ**

وَاعلمْ بِأَنَّ الضيفَ مُخْبِرُ أَهْلِهِ * بِمَبِيتِ لَيلتِهِ وإنْ لم يُسْأَلِ**

ويتعلم – كذلك – أن للبيت أسراره وحرمته فلا ينبغي عليه إفشاء سر من أسرار أسرته ولا الحديث عن أحد من أسرته بسوء .

عَنْ أَنَسٍ ، قَالَ:كُنْتُ أَلْعَبُ مَعَ الْغِلْمَانِ ، فَأَتَانَا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم ، فَسَلَّمَ (قَالَ يَزِيدُ فِي حَدِيثِهِ : عَلَيْنَا)، وَأَخَذَ بِيَدِي ، فَبَعَثَنِي فِي حَاجَةٍ ، وَقَعَدَ فِي ظِلِّ حَائِطٍ ، أَوْ جِدَارٍ ، حَتَّى رَجَعْتُ إِلَيْهِ ، فَبَلَّغْتُ الرِّسَالَةَ الَّتِي بَعَثَنِي فِيهَا ، فَلَمَّا أَتَيْتُ أُمَّ سُلَيْمٍ ، قَالَتْ : مَا حَبَسَكَ ؟ قُلْتُ : بَعَثَنِي النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم فِي حَاجَةٍ لَهُ ، قَالَتْ : وَمَا هِيَ ؟ قُلْتُ : سِرٌّ ، قَالَتْ : احْفَظْ عَلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم سِرَّهُ . قَالَ : فَمَا حَدَّثْتُ بِهِ أَحَدًا بَعْدُ. **أخرجه "أحمد" ١٠٩/٣(١٣٠٨٣) و"البُخَارِي"، في (الأدب المفرد) ١١٣٩.**

وغير ذلك من الآداب التي يجب أن يلتزم بها داخل البيت .

(٢) الرسالة الثانية

سلوك الطالب والطالبة في المدرسة

المدرسة هي البيت الثاني للطلاب وسلوكهم فيها هـو امتـداد طبيعـي لـسوكهم وتصرفهم داخل البيت ، فتصرفات الطلاب داخل المجتمع المدرسـي تعكـس أثـر التربية في البيت ، كما أن للتربية في المدرسة أثر مهم في تزويد الطلاب بـالقيم والمثل التي تجعلهم يحسنون التعامل مع جميع الناس .

لذا فقد حرص المربون الأوائل على الاهتمام بتربية الطلاب قبل تحفيظهم العلوم .
جلس الإمام الشافعي وهو غلام صغير في مجلس الإمام مالك بالمدينة المنـورة، وكان الإمام مالك يقرأ في درسـه أحاديث الرسول صلى الله عليـه وسـلم فـي مسجده، وكانت عادته إذا ذكر الحديث أن يقول: عن فلان، عن فلان، عن صاحب هذا المقام، ثم يشير إلى قبر الرسول. فرأى وهو يشير إلى القبر الشافعي يعبـث بثمرة من الحصير؛ بعد أن بلها بريقه فوق يده! فحزن الإمام مالك، ثم انتظر حتى أنهى درسه الذي قرأ فيه أربعين حديثًا، ثم ناداه، فأقبل وجلس بين يديه، فعاتبـه قائلاً: لماذا كنت تعبث أثناء تلاوة حديث رسول الله خ؟ فقال: يا سيدي! ما كنـتُ أعبث ولكني كنتُ أسجل بريقي ما تقول حتى لا أنسى؛ لأننـي فقيـر، ولا أملـك الدرهم الذي أشتري به القرطاس والقلم. فتعجب الإمام مالك، وقال له: إذا كنـتَ صادقًا فاقرأ ولو حديثًا واحدًا من الأربعين التي قرأتُها في درس الليلـة. فجلـس الشافعي كما كان يجلس أستاذه الإمام، وقال: عن فلان، عن فلان، عن صاحب هذا المقام؛ وأشار إليه كما أشار الإمام، ثم قرأ الأربعـين حديثًا. فأعجب الإمام مالـك بذكائه، وقال له: إني أرى الله قد ألقى في قلبك نورًا، فلا تُطفئه بظُلمة المعاصي.

وفي يوم رأى الإمام الشافعي أن ذكاءه لم يعد في الدرجة التي كان عليها من قبل، فذهب إلى أستاذه الإمام وكيع، وشكا له سوء حفظه، وقد أشار إلى هذا بقوله:

شكوتُ إلى وكيعٍ سُوءَ حِفظي * * * فأرشدني إلى تركِ المعاصي
وأخبرني بأنَّ العلمَ نورٌ * * * ونورُ اللهِ لا يُهدى لعاصي

ولطالب العلم أخلاق يجب داخل المدرسة أن يلتزم بها ومنها :

١- الصبر على التعلم وتلقي الدروس : وفي قصة موسى عليه السلام مع الخضر ما يؤكد ذلك ، قال تعالى : قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا (٦٦) قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٦٧) وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا (٦٨) قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا (٦٩) قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا (٧٠) **سورة الكهف .**

قال النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم : يَرْحَمُ اللَّهُ مُوسَى ، لَوْ كَانَ صَبَرَ ، يُقَصُّ عَلَيْنَا مِنْ أَمْرِهِمَا. **أخرجه "أحمد" ١١٨/٥(٢١٤٣٤) و"البُخَارِي" ٤١/١(١٢٢).**

قال هشام بن عمار رحمه الله: باع أبي بيتاً بعشرين ديناراً وجهزني للحج فلما وصلت المدينة أتيت مجلس الإمام مالك رحمه الله وهو جالس في مجلسه في هيئة الملوك والناس يسألونه وهو يجيبهم فلما حان دوري قلت له: حدثني فقال لا، بل اقرأ أنت فقلت لا بل حدثني ، فلما رادته وجادلته غضب وقال: يا غلام تعال أذهب بهذا فاضربه خمسة عشر، قال: فذهب بي فضربني ثم ردني إلى مالك فقلت :قد ظلمتني فإن أبي باع منزله وأرسلني إليك أتشرف بالسماع منك وطلب العلم على يديك ، فضربتني خمسة عشر دُرّة بغير جرم ، لا أجعلك في حل، فقال مالك، فما كفارة هذا الظلم؟فقلت كفارته أن تُحدثني بخمسة عشر حديثاً ،فقال هشام:فحدثني مالك بخمسة عشر حديثاً فلما انتهى منها قلت له: زد في الضرب وزد في الحديث، فضحك مالك وقال لي: اذهب وانصرف) **من كتاب معرفة القراء الكبار للذهبي(١٩٦/١).**

قال الشاعر :

أطلبُ العِلمَ ولا تكسلْ فما * * * أبعدَ الخيرَ على أهلِ الكَسَلْ
واحتفلْ للفقهِ في الدِّين ولا * * * تشتغلْ عنهُ بمالٍ وخَوَلْ
واهجرِ النَّومَ وحصِّلهُ فمنْ * * * يعرفِ المطلوبَ يحقرْ ما بَذَلْ

لا تـقلْ قـد ذهبتْ أربـابُـهُ * كلُّ من سارَ على الدَّربِ وصلْ**

في ازديادِ العلمِ إرغامُ العِدى * وجمالُ العلمِ إصلاحُ العملْ**

٢- التخلق بأخلاق طالب العلم : من الإخلاص والتقوى والصدق والأمانة والتواضع وعلو الهمة وغيرها . قال عمر: تعلموا العلم وتعلموا له السكينة والوقار وعن أبي هريرة مرفوعاً: تعلموا العلم وتعلموا للعلم السكينة. وتواضعوا لمن تعلمون منه. رواه الطبراني في الأوسط. وعن السلف رحمهم الله: حق على العالم أن يتواضع لله، في سره وعلانيته ويحترس من نفسه ويقف عما أشكل عليه. **آداب العلماء والمتعلمين ١٤.**

يقول الشاعر:

والعلم إن لم تكتنفه شمائل * تعليه كان مطية الإخفاق**

لا تحسبن العلم ينفع وحده * ما لم يتوج ربه بخلاق**

٣- تقدير معلمه واحترامه : وذلك بحسن الإنصات إليه ، قال الحسن بن علي لابنه: يا بني، إذا جالست العلماء، فكن علي أن تسمع أحرص منك علي أن تقول، وتعلم حسن الاستماع كما تتعلم حسن الصمت.

ويجب أن يكون السؤال بقصد الفهم والإدراك، لا بقصد الجدل أو التعجيز.

كما أن عليه أن يجلس إلي معلمه في أدب ووقار، ولا كثر من التلفت والإشارة والضحك، ويراعي حسن المظهر والنظافة، وعدم التحدث أو السؤال إلا بعد الاستئذان، وعدم تحقير الزملاء أو السخرية منهم، بل يعلم أنهم إخوته في العلم؛ فيرحمهم ويحترمهم. ومن الأشياء التي تساعد طالب العلم.. ترتيب الكتب وتنظيمها، وإعطاء النفس حقها من الراحة، ويجب تخير الوقت المناسب للمذاكرة، وتوزيع وقت المذاكرة علي جميع العلوم.

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه: (من حقّ العالم عليك إذا أتيته أن تسلِّم عليه خاصَّة، وعلى القوم عامّة، وتجلس قُدَّامه، ولا تشِر بيديك، ولا تغمِز بعينَيك، ولا تقُل: قال فلان خلافَ قولك، ولا تأخذ بثوبِه، ولا تُلحَّ عليه في

السؤال، فإنّه بمنزلة النخلة المُرطبة التي لا يزال يسقط عليك منها شيء). **انظر: جامع بيان العلم وفضله (٥٨٠/١) رقم (٩٩٣).**

وعن سعيد بن المسيب أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: (إن من حق العالم ألا تكثر عليه بالسؤال، ولا تُعنِّته في الجواب، وألا تُلحَّ عليه إذا كسل، ولا تأخذ بثوبه إذا نهض، ولا تفشينّ له سرًّا، ولا تغتابنّ عنده أحدًا، ولا تطلبنّ عثرته، وإن زلّ قبلت معذرته، وعليك أن توقّره وتعظّمه لله ما دام يحفظ أمر الله، ولا تجلس أمامه، وإن كانت له حاجةٌ سبقت القوم إلى خدمته). **انظر: إرشاد الطالب (ص٧٨-٧٩).**

وقال الشافعي: كنت أصفح الورقة بين يدي مالك صفحاً رفيقاً هيبة له، لئلا يسمع وقعها. **انظر: تذكرة السامع والمتكلم (ص٨٨).**

كما ينبغي عليه إجلال معلمه وتقديره ووضعه في مكانة الوالد ، كان العالم المسلم (الكسائي) يربي ويؤدب ابني خليفة المسلمين في زمانه هارون الرشيد،وهما الأمين والمأمون وبعد انتهاء الدرس في أحد الأيام ، قام الإمام الكسائي فذهب الأمين والمأمون ليقدما نعلي المعلم له ، فاختلفا فيمن يفعل ذلك ، وأخيراً اتفقا على أن يقدم كلاً منهما واحدة ..ورفع الخبر إلى الرشيد ، فاستدعى الكسائي وقال له :من أعز الناس ؟ قال: لا أعلم أعز من أمير المؤمنين قال : بلى ،إن أعز الناس من إذا نهض من مجلسه تقاتل على تقديم نعليه وليا عهد المسلمين ، حتى يرضى كل منهما أن يقدم له واحدة فظن الكسائي أن ذلك أغضب الخليفة فاعتذر الكسائي ،فقال الرشيد : لو منعتهما لعاتبتك ، فإن ذلك رفع من قدرهما.**ابن خلكان : وفيات الأعيان ٥١٠/٣ .**

فالمعلم له فضل كبير علي تلامذته، قال أحمد شوقي:

قم للمعلم وفهِ التبجيلا * * * كاد المعلم أن يكون رسولا

أرأيت أفضل أو أجل من الذي * * * يبني وينشئ أنفسا وعقولا

٤- حسن اختيار الصحبة الصالحة :فالصاحب ساحب ، والمرء على دين خليله ، والمرء يحشر مع من أحب ، عَنْ ثَابِتٍ ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ؛أَنَّ رَجُلاً قَالَ : يَا

رَسُولَ الله ، مَتَى السَّاعَةُ ؟ قَالَ : وَمَاذَا أَعْدَدْتَ لِلسَّاعَةِ ؟ قَالَ : لاَ ، إِلاَّ أَنِّي أُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ ، قَالَ : فَإِنَّكَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ.قَالَ أَنَسٌ : فَمَا فَرِحْنَا بِشَيْءٍ ، بَعْدَ الإِسْلاَمِ ، فَرَحَنَا بِقَوْلِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم : إِنَّكَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ. قَالَ : فَأَنَا أُحِبُّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم ، وَأَبَا بَكْرٍ ، وَعُمَرَ ، وَأَنَا أَرْجُو أَنْ أَكُونَ مَعَهُمْ ، لِحُبِّي إِيَّاهُمْ ، وَإِنْ كُنْتُ لاَ أَعْمَلُ بِعَمَلِهِمْ. **رواه أحمد (١٣٤١٩ و١٣٨٨٦) ، وعَبْد بن حُمَيْد (١٣٩٦) ، ومُسْلم (٧٥٤٠) .**

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ، قَالَ: الأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ ، فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ ، وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ. **أخرجه أحمد ٢/٢٩٥(٧٩٢٣) و"البُخاري" في "الأدب المفرد"٩٠١.**

قال تعالى : " وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يلَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً. يوَيْلَتَا لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلاَناً خَلِيلاً. لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِي " **الفرقان:٢٧.**

يقول ابن عباس و سعيد بن المسيب : إن الظالم هاهنا يراد به عقبة بن أبي معيط وخليله أمية بن خلف وتذكر بعض الروايات أن سبب نزول هذه الآيات هو أن عقبة بن أبي معيط كان يكثر من مجالسة النبي صلى الله عليه وسلم ، فدعاه إلى ضيافته فأبى النبي صلى الله عليه وسلم أن يأكل من طعامه حتى ينطق بالشهادتين، ففعل. وعلم بذلك أبي بن خلف وكان صديقَه، فعاقبه وقال له: صبأت؟ فقال: لا والله ولكن أبى أن يأكل من طعامي وهو في بيتي استحيت منه فشهدت له، فقال: لا أرضى منك إلا أن تأتيه فتطأ قفاه وتبزق في وجهه، فوجده ساجدا في دار الندوة ففعل ذلك، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم :لا ألقاك خارجَ مكة إلا علوت رأسك بالسيف فأسر يوم بدر فأمر عليًّا بقتله فقتله .**الدر المنثور ، للسيوطي ٦/ ٢٤٩.**

قال الشاعر :

عَنْ الْمَرْءِ لَا تَسْأَلْ وَسَلْ عَنْ قَرِينِهِ * * * فَكُلُّ قَرِينٍ بِالْمُقَارَنِ يَقْتَدِي
إذَا كُنْت فِي قَوْمٍ فَصَاحِبْ خِيَارَهُمْ * * * وَلَا تَصْحَبْ الْأَرْدَى فَتَرْدَى مَعَ الرَّدِي

(٣) الرسالة الثالثة

سلوك الطالب والطالبة في الطريق

سلوك الطالب والطالبة في الطريق أمر على غاية كبرى من الأهميــة ، لأن كــل الناس تنظر إلى طالب العلم نظرة إجلال وتقدير ، وتترصد سلوكه وأخلاقه .

لذا فإنه ينبغي عليه أن يمشي بين الناس في إخبات وتواضع ، متمــثلاً قــول الله تعالى ،: وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَــاطَبَهُمُ الْجَــاهِلُونَ قَالُوا سَلَاماً (٦٣) **الفرقان.**

وقال : " وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُولَــئِكَ كَــانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً وَلَا تَمْشِ فِى ٱلأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلأَرْضَ وَلَن تَبْلُــغَ ٱلْجِبَــالَ طُولاً كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا . **سورة الإسراء:٣٦-٣٨.**

وقد جمَعَ بعضهم بعضَ علاماتِ حسن الخلق فقال : هو أن يكون كثيــرَ الحيــاء ، قليلَ الأذى ، كثيرَ الصلاح ، صدوقَ اللسان قليلَ الكلام ، كثيرَ العمل ، قليل الزلــل والفضول ، بَراً وصولاً ، وقوراً صبوراً ، شكورا راضيا حليمــا رفيقــاً ، عزيــزا شفيقا ، بشّاشا هشَّاشا ، لا لعانا ولا سبّابا ، ولا منَّانا ولا مغتابا ، ولا عجولا ولا حقودا ، ولا بخيلا ولا حسودا ، يحبّ فــي الله ويــبغض فــي الله ، ويرضــى لله ويغضب لله .

وللطريق حقوق وواجبات حددها الإسلام ، عن أبي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ بِالطُّرُقَاتِ ، قَالُوا : يَا رَسُولَ اللهِ ، مَا بُدٌّ لَنَا مِنْ مَجَالِسِنَا نَتَحَدَّثُ فِيهَا ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : إِنْ أَبَيْــتُمْ ، فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهُ ، قَالُوا : وَمَا حَقُّ الطَّرِيقِ يَا رَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ : غَضُّ الْبَصَرِ ، وَكَفُّ الأَذَى ، وَرَدُّ السَّلاَمِ ، وَالأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ ، وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ. **أخرجه أبــو داود (٤٨١٧) الألبـاني في " السلسلة الصحيحة " ٦ / ٩.**

فالإسلام لا يرضى أن يطلق الجالس في الطريق نظره، فيحرج من يمر بالطريق من النساء خاصة، ويضيق عليهن أو يؤذي المارة بأي نوع من أنواع الإيذاء المادي أو المعنوي.

يقول الشاعر:

إذا المرءُ لم يلبسْ ثياباً من التُّقى * * * تقلب عُرياناً وإن كان كاسيا

وخير لباس المرءِ طاعة ربه * * * ولا خير فيمن كان لله عاصيا

فطالب العلم عليه أن يمشي في الطريق بحياء وتواضع ، يغض بصره عن المحارم ، قال تعالى " قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (٣٠) وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٣١) **سورة النور .**

وعَنِ ابْنِ بُرَيْدَةَ ، عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم لِعَلِيٍّ:يَا عَلِيُّ ، لاَ تُتْبِعِ النَّظْرَةَ النَّظْرَةَ ، فَإِنَّ لَكَ الأُولَى ، وَلَيْسَتْ لَكَ الآخِرَةُ.**أخرجه أحمد ٥/٣٥١و"أبو داود" ٢١٤٩ والتِّرْمِذِيّ" ٢٧٧٧ صحيح أبي داود (١٨٦٥) .**

قال الشاعر:

كل الحوادث مبداها من النظر * ومعظم النار من مستصغر الشررِ**

كم نظرةٍ فتكت في قلب صاحبها * فتك السهام بلا قوس ولا وترِ؟**

والعبد مادام ذا عين يقلبها * في أعين الغيد موقوفاً على الخطرِ**

يُسِر مقلته ما ضر مهجته * لا مرحباً بسرورٍ عاد بالضررِ**

كما أن عليه أن يكف أذاه عن الناس فلا يلمز ولا يسخر ولا يعيب على من يمشي ولا يجرحه ، قال تعالى : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ

يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (١١) **سورة الحجرات .**

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم . قَالَ: الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ ، وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللهُ عَنْهُ. **أخرجه "أحمد" ١٦٣/٢ (٦٥١٥) و"البُخَارِي" ٩/١(١٠).**

قال سفيان بن حسين: ذكرت رجلاً بسوء عند إياس بن معاوية فنظر في وجهي، وقال: أغزوت الروم؟؟قلت: لا قال: أغزوت الهند أو السند أو الترك؟؟قلت: لا قال: أفسلم منك الروم، والهند ، والسند , والترك؟!ولم يسلم منك أخوك المسلم ! .

مر أبو الدرداء رضي الله عنه على رجل قد أصاب ذنبا والناس يسبونه، فلم يعجبه ما رأى من صنيعهم، وأراد أن يضيف إليهم من خبرته العميقة في الدعوة، قاعدة لم يبد له أنهم يعرفونها فقال لهم: لو وجدتموه في قليب، ألم تكونوا مستخرجيه؟قالوا: بلى.قال: فلا تسبوا أخاكم، واحمدوا الله الذي عافاكم. فقالوا: أفلا نبغضه؟فقال: إنما أبغض عمله، فإذا تركه، فهو أخي.

قال الشاعر :

من كان يرجو أن يسود عشيرة * فعليه بالتقوى ولين الجانب**
ويغض طرفا عن إساءة من أساء * ويحلم عند جهل الصاحب**

كما يجب عليه أن يرد السلام على من سلم عليه وأن يلقي السلام على من يقابله ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو؛ أَنَّ رَجُلاً سَأَلَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم : أَيُّ الإِسْلاَمِ خَيْرٌ ؟ قَالَ : تُطْعِمُ الطَّعَامَ ، وَتَقْرَأُ السَّلاَمَ ، عَلَى مَنْ عَرَفْتَ ، وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ. **أخرجه أحمد ١٦٩/٢(٦٥٨١) و"البُخَارِي" ١٠/١(١٢) و"مسلم" ٤٧/١(٦٩) .**

كما يجب عليه – كذلك – أن يميط الأذى عن الطريق ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ، قَالَ: الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ بَابًا ، أَفْضَلُهَا لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْعَظْمِ عَنِ الطَّرِيقِ ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ . ". **((البُخاري)) ٩/١(٩) و((مسلم)) ٤٦/١(٦١).**

فإماطة الأذى عن الطريق شعبة من شعب الإيمان ، به يشكر المرء ربه على عظيم نعمه وجليل امتنانه ، وعَنْ طَاوُوس ، عَنِ ابن عَبَّاسٍ قَالَ :قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فِي ابن ادمَ سِتُّونَ وَثَلاَثُمِئَهِ سُلاَمَى ، أَوْ عَظْمٌ ، أَوْ مِفْصَلٌ ، عَلَى كُلِّ واحِدٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ صدَقَة ، كُلُّ كَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ صَدَقَةٌ ، وَعَوْنُ الرَّجُلِ أَخَاهُ صَدَقَةٌ ، وَالشَّرْبَةُ مِنَ الْماءِ يَسقِيهَا صَدَقَةٌ ، وَإِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ. **أخرجه البخاري في (الأدب المفرد) ٤٢٢.**

بل إن إماطة الأذى عن الطريق سبيل إلى دخول الجنة ، عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ قُرَّةَ ، قَالَ : كُنْتُ مَعَ مَعْقِلٍ الْمُزَنِيِّ ، فَأَمَاطَ أَذًى عَنِ الطَّرِيقِ ، فَرَأَيْتُ شَيْئًا فَبَادَرْتُهُ ، فَقَالَ : مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ يَا ابْنَ أَخِي ؟ قَالَ: رَأَيْتُكَ تَصنَعُ شَيْئًا فَصَنَعْتُهُ ، قَالَ : أَحْسَنْتَ يَا ابْنَ أَخِي ، سَمِعْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: مَنْ أَمَاطَ أَذًى عَنْ طَرِيقِ الْمُسْلِمِينَ ، كُتِبَ لَهُ حَسَنَةٌ ، وَمَنْ تُقُبِّلَتْ لَهُ حَسَنَةٌ دَخَلَ الْجَنَّةَ. **أخرجه البُخَارِي ، في الأدب المفرد(٥٩٣.**

وعَنْ أَبِي ذَرٍّ ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ، قَالَ: عُرِضَتْ عَلَيَّ أَعْمَالُ أُمَّتِي ، حَسَنُهَا وَسَيِّئُهَا ، فَوَجَدْتُ فِي مَحَاسِنِ أَعْمَالِهَا ، الأَذَى يُمَاطُ عَنِ الطَّرِيقِ ، وَوَجَدْتُ فِي مَسَاوِئِ أَعْمَالِهَا ، النُّخَاعَةَ تَكُونُ فِي الْمَسْجِدِ لاَ تُدْفَنُ. **أخرجه أحمد ١٨٠/٥(٢١٩٠٠) و"البُخاري" في "الأدب المفرد" ٢٣٠ و"مسلم" ٧٧/٢ (١١٧٠).**

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ ، إِذْ وَجَدَ غُصْنَ شَوْكٍ عَلَى الطَّرِيقِ فَأَخَّرَهُ ، فَشَكَرَ اللهُ لَهُ ، فَغَفَرَ لَهُ. **أخرجه "البُخاري" ٦٥٢ و"مسلم" ٤٩٧٥.**

وفي رواية : حُوسِبَ رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ، فَلَمْ يُوجَدْ لَهُ مِنَ الْخَيْرِ إِلا غُصْنُ شَوْكٍ كَانَ عَلَى الطَّرِيقِ كَانَ يُؤْذِي النَّاسَ فَعَزَلَهُ ، فَغُفِرَ لَهُ. **أخرجه أحمد ٢٨٦/٢(٧٨٣٤) و"ابن حِبَّان" ٥٣٨.**

وقال أيضاً : "من آذى المسلمين في طرقهم ، وجبت عليه لعنتهم " . **رواه الطبراني (١/ ٣١٣ / ١الألباني في " السلسلة الصحيحة " ٥ / ٣٧٣.**

وأيضاً فإن من حق الطريق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأن لا يكون المرء سلبياً وهو يمشي بل تكون غايته الاصلاح وحب الخير لجميع الناس .

ومن حق الطريق: تحريم قضاء الحاجة في طريق الناس أو ظلهم: فقد حذر رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم من التخلي في طريق الناس أو ظلهم، لأن ذلك حق عام، فلا يحل لامريء أن يفسد على الناس طرقهم التي يمشون عليها، أو ظلهم الذي فيه يجلسون، وبه يتقون حر الشمس. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: (اتَّقُوا اللَّعَّانَيْنِ ، قَالُوا : وَمَا اللَّعَّانَانِ يَا رَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ : الَّذِي يَتَخَلَّى فِي طَرِيقِ النَّاسِ ، أَوْ فِي ظِلِّهِمْ.)". **أخرجه أحمد ٣٧٢/٢(٨٨٤٠) و((مسلم)) ١٥٦/١** .

أي :اجتنبوا الأمرين اللذين يجلبان لعن الناس وشتمهم، لأن من تخلى في طريق الناس أو ظلهم، لا يكاد يسلم من سب الناس وشتمهم .

فالطريق ليس ملكاً لشخص إنما هو ملك للجميع ، عبدالله بن الزبير بن العوام وعمره ثماني سنوات ، مر به أمير المؤمنين عمر بن الخطاب..وكان عمر كلما مر...تفر من أمامه الصبيان لهيبته، ولكن عبدالله لم يفر..فسأله عمر: لم لم تجر كما جرى أقرانك...فقال عبدالله: لم أخطيء لأفر ولم يكن الطريق ضيقاً لأوسع لك الطريق..فسأله عمر: لم لا تلعب مع أصحابك...فقال عبدالله: ألعب معهم هويناً...ولكن لم أخلق لألعب،قال عمر: فلم خلقت؟. فقال عبدالله: لأعز الإسلام.